على هامش النقد

كتب وشخصيات

للأستاذ سيد قطب

١ — عبقرية محمد ... ... للعقاد
٢ — بيجماليون ... ... لتوفيق الحكيم
٣ — دعاء الكروان والحب الضائع ... لطه حسين

تمهيد :

أردت أن أجمع بين هذه الكتب وهؤلاء الكتاب ؛ لا لأنها تتفق في فكرة أو اتجاه ، ولا لأن بينهم — في هذه الأيام — مصافاة أو مجافاة ! ... ولكن لأن كلاً منهم يجري في كتابه هذا على منهجه ويستخدم أفضل قواه

خطر لي مرة أن أكتب مقالاً أو مقالات تحت عنوان : « لا يعرفون أنفسهم ! » وفي مقدمة من كنت أعنيهم بهذا العنوان ثلاثة من الكتاب : طه حسين ، وتوفيق الحكيم ، وأحمد أمين !

من المبادئ الاقتصادية الأولية أن يستخدم الفرد أحسن مواهبه ؛ وهؤلاء الكتّاب لا يستخدمون أحسن مواهبهم في كثير من الأحيان ، فلو كنت أملك الحجر على الناس في بعض التصرفات ، لحجرت على هؤلاء الثلاثة في بعض الاتجاهات ! تحقيقاً لهذه القاعدة الاقتصادية ، وتحقيقاً لمصلحتهم ومصلحة الأدب على السواء

فأما الدكتور طه حسين ، فهو لا يعرف نفسه حقاً حين يحاول أن ينشئ أدباً غير ذلك الاستعراض الحلو لخطرات النفس وخلجات الضمير ، وغير ذلك اللمس الخفيف الرفيق للانفعالات والوجدانات . الاستعراض هو فن طه حسين الأصيل الذي يجيده في « الأيام » و « على هامش السيرة » و « مع أبي العلاء في سجنه » ، ثم في « دعاء الكروان » وفي « الحب الضائع » في هذه الأيام

فأما حين يسرف في استخدام مواهبه ، حين يستخدم مواهب الصف الثاني لديه — إذا استعرنا الاصطلاحات الحربية — في مثل « الأدب الجاهلي » و « مع المتنبي » وفي نقد الكتب أو كتابة المقدمات ... فإنما يسرف على نفسه أولاً وعلى مواهبه ، ويسرف على الأدب ثانياً وعلى قرائه ، أولئك الذين يريدونه في خير حالاته ؛ وإن لم يكن في حالاته الأخرى من المتخلفين

وأما توفيق الحكيم فإنه لا يعرف نفسه أصلاً ، حين يحاول أن ينشيء أدباً غير القصة ، وغير الحوار بشكل خاص . الحوار هو فن توفيق الحكيم الأصيل ، فما هي إلا كلمة خاطفة من هنا وجملة عابرة من هناك حتى تستوي الفكرة التي يعالجها حية شاخصة ، أشبه شيء بالخطوط السريعة في تحديد ملامح الوجوه

وقد اهتدى إلى أحسن مواهبه في أهل الكهف وشهرزاد وبيجماليون في ناحية ... وفي نهر الجنون » و « سر المتحرة » و « المخروج من الجنة » في ناحية أخرى ، على تفاوت في الطاقة والاتجاه ...

فأما حين تسوّل له نفسه أو يسوّل له بعض الصحفيين أن يكتب أشياء مما يكتب في شتى الصحف والمجلات ؛ وحتى حين يكتب قصصاً غير الحوار وغير معالجة مشكلة فكرية في هذا الحوار ، فإنه يجني على مواهبه ويجني على قرائه على تفاوت الجناية في هذين الاتجاهين ، ويستحق الحجر الذي يضرب على المسرفين في الجهد أو في المال !

وأما أحمد أمين فقد ظهر أول ما ظهر بكتابه « فجر الإسلام » ثم تابع السلسلة في « ضحى الإسلام » بأجزائه الثلاثة ، فقلنا : رجل متزن يهتدي إلى خير مواهبه فيستخدمها أحسن استخدام .

ثم صدرت « الثقافة » فاستهوته المقالة ، وهنا خانه الاهتداء إلى أفضل ما فيه ، واستمرأ هذا الجهد الوقتي المتقطع فكثرت مقالاته ، وكثرت إذاعاته ، وجمع هذه المقالات فيما أسماه « فيض الخاطر » على ثلاثة أجزاء .

هذا « الفيض الخاطر » هو اللفتة الخاطئة في حياة أحمد أمين الأدبية ، وهو الانحراف عن الطريق السوي الذي خلق له ، وهو التعطيل للوظيفة الأساسية التي انتدبته لها المكتبة العربية .

ولو أنه سار في الطريق ، فوضع لنا — بدل الأجزاء الثلاثة من « فيض الخاطر » — ثلاث حلقات جديدة في سلسلة تاريخ الأدب العربي ، ولو أنه تابع هذه السلسلة إلى عصر النهضة الحالية ، لأدى للمكتبة العربية أجلى الخدمات .

ولـكنه استهواء الصحافة ، وتوزيع الجهد ، والإسراف على النفس وعلى القراء !

* * *

فى الـكتب الثلاثة أو الأربعة التى اخترت أن أجمع بينها فى هذا الحديث يهتدى مؤلفوها إلى أفضل مواهبهم ويستخدمونها على أفضل الوجوه . فـكل منهم يجرى فى ميدانه الأصيل ، ويجرى على أصول الجرى فى هذا الميدان ؛ وهى — من هنا — تمثل أصحابها خير تمثيل ، وترسم مناهجهم فى الأداء وفى التفـكير .

فأما العقاد فهو أبداً مهتد إلى مواهبه لم يضل فى تقدير واحدة منها ، وهى مواهب متنوعة ولـكنها جميعاً أصيلة وتـكاد أن تـكون متكافئة ، فإذا شئنا الاختيار والمفاضلة ، فأفضلها فيما يبدو « دراسة الشخصيات »

وقد انساق العقاد منذ نشأته الأدبية تقريباً فى هذا السياق عامداً أو غير عامد ، فهو أكثر كتابنا المحدثين دراسة للشخصيات : الأدبية والفـكرية والسياسية والإنسانية . كتب عن : المتنبى وابن الرومى وأبى العلاء وجيتى وتوماس هاردى وطاغور ، وكثيرين من أمثالهم قدامى ومحدثين . كما كتب عن : كانت ونيتشه وماكس نوردو وشوبنهور ، وكثيرين من أمثالهم . وكتب كذلك عن : هتلر ومصطفى كمال وسعد زغلول . وعن : محمد عبده وغاندى .

ثم ها هو ذا يكتب عن « محمد » كتابه الأخير

وليست كثرة الشخصيات التى كتب عنها « العقاد » هى التى تجعله دارس شخصيات ، فـكثيراً ما يكتب الـكاتبون عن عشرات الشخصيات ومئات الأعلام أوصافاً لهم وحوادث فى حياتهم ، ثم يخرج القارئ من هذا كله بأوصاف ومعلومات لا يتبين منها ملامح شخصية واحدة من هذه الشخصيات

إنما ميزة « العقاد » الفذة أنه مصور ملامح ، ومشخص هيئات ، ورامم صورحية من اللحم والدم والصفات والسمات والهواجس والأفكار ... لديه لـكل شخصية يدرسها مفتاح يدير به اللولب ، فإذا أنت أمام هذه الشخصية ، وإذا أنت تملك هذا المفتاح ، وإذا أنت تستطيع تفسير الحوادث التى ألمت بحياة هذا الإنسان ، كما تملك تفسير استجاباته لهذه الحوادث

كل إنسان كتب عنه «العقاد» تستطيع أن تعرف « من هو » ، وإن لم تعرف كل ما وقع له من أحداث

تلك هى الموهبة المتفردة التى تجعل « العقاد » دارس شخصيات ، لأنه هو نفسه شخصية واضحة المعالم والسمات

وفى هـذا الـكتاب الأخير « عبقرية محمد » تتجلى هذه الموهبة على أتمها وأكملها ، وينضج نضجها واستواؤها على فصول الـكتاب وجمله وفقراته . فهو من هذه الناحية أدل ما يكون على أكمل موهبة من مواهب « العقاد » . فأما تفصيل ذلك ، فعند الـكلام عن الـكتاب

وأما « بيجماليون » فيستوى فيه كذلك توفيق الحـكيم على نهجه فى « أهل الـكهف » و « شهر زاد » بعد ما بعد بنفسه طويلاً عن هذا النهج : حوار ، حول مشكلة من مشاكل الفـكر الإنسانى . . . كم بلغ فى هذا الحوار من الإجادة ، كم خطا فيه إلى الأمام أو إلى الوراء ؟ هـذا ما يتبين فى الحديث الخاص عن هذا الـكتاب

وأما « دعاء الـكروان . وعلى هامش الحب » فجدولان جديدان فى إنتاج الدكتور طه حسين ، ولـكنهما ينبعان من نفس المعين الذى نبعت منه « الأيام » . إلا أنهما مقدرة جديدة فى هذا الاتجاه . فقد كنت أتعجب — ولـكن لا أرى عجباً — فى أن يكتب الدكتور «الأيام» فيصور خلجات نفسه وهواجس ضميره ، ويتلمس وقائع حياته ويلم بحوادث أيامه . أما أن يصور خلجات نفس أخرى وهواجس ضمير آخر ، وأما أن تكون تلك النفس نفس امرأة ، وهـذا الضمير ضمير امرأة — بل امرأتين بل امرءات ! — فأما أن يطرد هـذا التصوير بنفس القوة والعذوبة والوضاحة التى فى « الأيام » ، فهذه هى المقدرة الجديدة التى سيبين عنها المقال

وأترك القارئ الآن وقد علم لماذا اخترت أن أجمع بين هذه الـكتب وبين هؤلاء الأشخاص . وفى الأسبوع القادم سآخذ فى الحديث الموضوعى إن شاء الله

سيد قطب

حكم فى القضية رقم ٣٢٣ جنح عسكرية سنة ٩٤٢ ضد طه حسن بدوى بغرامه ٥ ج والنفاذ لمدة ثلاثة أيام والنشر والاعلان على باب القسم بتاريخ ٣ / ١٢ / ١٩٤١ وذلك لبيعه خشبا بسعر أكثر من المحدد بالتسعيرة

حكم بجلسة ١٨ فبراير سنة ٩٤٢ فى القضية ن ١٠٤٥ سنة ٩٤١ جنح عسكرية المنيا بتغريم عز محمد يونس من منشاة عمرو ٣٠٠ قرشاً وحبس محمد سليمان حسن شهرين مع الشغل لبيعهما ذرة بسعر أزيد من التسعيرة